« ايها الأب المقدس . بعد خدمة نحتفل بها في الهواء الطلق أعلن عن معرفتي لمحبتك ورعايتك سلام الوطن فكن عوني في العمل المبارك الذي قررنا أن نباشر به . فمنذ ساعة مبكرة من حياتي حرمني الله من الأب والأم وأراد النبلاء حكم البلاد دون أن يظهروا لي أي اهتمام ، وباسمي سرقوا السلطة والأعطيات واغتنوا عن طريق الابتزاز والاغتصاب واضطهدوا الشعب ولم يقف في طريقهم أحد . ولقد بدوت في طفولتي البائسة أطرش وأخرس فلم أسمع أنين الفقراء ولم تنطق شفتاي بأي كلام » . ثم توجه بحماسة نحو النبلاء ووجه إليهم هـذه الكلمـات : « انتم ، أنتم أيهـا الملعونون المتمردون ايها الاداريون الخونة لقد صنعتم بروسيا كل ما حلا لكم ، فبماذا تردون على اتهاماتي ؟ ، كم من الدموع اجريتم ؟ ، كم من الدم اهرقتم ؟ ، إنني بريء من هذا الدم وستنالون عقاب ما اقترفتموه من آثام امام محكمة السماء . » .

ثم توجه بعد ذلك الى الشعب مستمراً في توجيه الكلام : « ايهـا الشعب الذي اعطانيه الله ، اتوسل إليكم أن تؤمنوا به وتمنحوني محبتكم . كونوا كرماء ! ، فمن المستحيل أن نصحح أخطاء الماضي ، ولن أستطيع إلا في المستقبل ان اجنبكم الاضطهاد وأنقذكم من السلب والنهب . فانسوا ما لن يتكرر ولنطرد من نفوسنا الكراهية والبغضاء ولنعش كلنا في رحاب المحبة المسيحية ، فمنذ هذا اليوم ساكون قاضيكم والمدافع عنكم . » .

وقد عهد الى اورداتشيف أن ينظر في مظالم كل أولئك الذين كانوا يعتقدون انهم غبنوا اثناء حكم البويار الفاسد وأن يلفت نظر إيڤان الى المظالم التي يمكن مداواتها . وكان عليه ان يعمل بدون خوف فليس لأحد من كبار عائلات روسيا أن يمسه . على اننا لا نعرف عدد أولئك الذين واتتهم الشجاعة لتقديم مظالمهم بناء على دعوة القيصر ، ولا شك أنهم كانوا قلائل . ولكن اللفتة كانت كريمة ، « فالقيصر باركه الله سيتلقى شكاوانا » ، ولكن هل كان ثمة بسطاء يتجرؤون على تقديم شكاواهم على القيصر والعائلات النبيلة ؟. ومع ذلك فإن أورداتشيف وسيلڤستر لم